التدين التايواني!

هل في عالم اليوم مهنة أو مجال يملك حصانة من الدخلاء والغشاشين؟ إن كان موجوداً فالمنطقي أن يكون دينياً أو يقوم عليه المتدينون إن كانوا مسلمين أو يهوداً أو نصارى.

لكن هذه الفرضية في ما مضى من التاريخ وما هو حاضر لم تتحقق، إذ تنقل إلينا كتب التاريخ كيف اتخذ الأحبار الدين مطية للاسترزاق فحرفوا وبدلوا وأحلوا وحرموا، كما زخرت بذلك آي القرآن وكتب التاريخ.

وفي عهد الدين الإسلامي لم تكن التجربة صافية من الدخلاء بأثواب الدين، فجاءت مصطلحات عدة تختلف أسماءً، لكنها تتحد في تسويغ الخيانة والقتل بالدين، مثل "المنافقون" "الخوارج" "السبئيون" وغيرهم.

بل ظل أصحاب المهن المقدسة يبذلون جهوداً مضنية في سبيل نفي الدخلاء وفضحهم، خصوصاً في مجال "رواية الأحاديث" عن النبي ﷺ، فاخترعوا حينها علماً جديداً سُمي "الجرح والتعديل"، فهل نحن اليوم نحتاج إلى اختراع آخر يمثل "بف بافاً" يسحق

الدخلاء في المهن والمجالات الشريفة مثل: "الدعوة" و "الخطابة" و"الجهاد" و"الإغاثة" و"الرقية" و"طب الأعشاب"... ونحوها؟

ولا تزال العمليات الإرهابية التي تسفك دماء الأبرياء في العراق والسعودية وبلدان إسلامية وغربية أخرى تتابع إيقاع على صرخات الأيتام وآهات الثكالى المختلطة بأناشيد وأهازيج المجاهدين المزيفين!

ويشير الدكتور محمد بن يحيى النجيمي إلى أنه على "الرغم من أن الأصل في الذين يحملون اسم الدين أن يمثلوه بأخلاقهم وسلوكياتهم قبل أن يتحدثوا عنه بألسنتهم، إلا أننا مع شديد الأسف نرى هذه الأيام دخلاء كثراً على الدين أساؤوا إلى الدين وحملته، ويأتي في طليعة هؤلاء المفجرون والمخربون والساعون في الأرض بالفساد".

واعتبر "التدين والالتزام بأحكام الدين صفة عظيمة حسنة بل هو المطلوب شرعاً قال الله – تعالى–: «فاستقم كما أمرت» (هود: ١١٢). وعن أبي عمرة – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» أخرجه مسلم في الصحيح. إلا أن بعض الناس يفهم حقيقة التدين فهماً خاطئاً، فتراه صحيح العقيدة لا يرتكب الشركيات ولا المكفرات، ويصلي الصلاة، ويؤدي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج بل ويلتزم بسنن كاللحية وعدم الإسبال، ولكنك إذا عاملته في بيع أو شراء وجدته يغش ويكذب، بل إذا تزوج وجدته

يضرب زوجته ويعاملها معاملة سيئة، وتراه مكفهر الوجه، لا يبتسم".

وأضاف أن تلك الممارسات كلها "مخالفة لحقيقة التدين، فلو كان صاحب خلق ودين لما غش، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «من غشنا فليس منا» ويقول: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس من لا دينار له ولا درهم. قال: بل المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

وتأتي المفارقة في نظر النجيمي في أن "الدين في الإسلام مرتبط بالمعاملة، ولهذا يقول الله: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» فصلاتك إذا لم تثمر انتهاءك عن المنكر، فإن فيها ضلالاً كبيراً، ويقول صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» ويقول: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر».فكثير من الناس يعتقد أن الصيام هو الإمساك عن الأكل والشرب وبعض المحرمات، ولذلك تجد بعض الصائمين يمارسون المنكرات، ويأكلون المحرمات، ولو صاموا حقيقة ما فعلوا ذلك".

وأبدى أسفه لأن النماذج التي أشار إلى بعض صفاتها موجودة – كما يقول – في مجتمعنا "فتجد شخصاً ظاهره التدين، وعندما

تتزوجه فتاة مسكينة منخدعة بمظهره تجده عكس ذلك تماماً. وأذكر مرة في أحد معارض السيارات أن شخصاً يظهر عليه التدين بل يؤم الناس، يبيع سيارات مستعملة، فاكتشف الناس بعد فترة من الزمن أنه كان يبيعهم سيارات معيبة، وخدع الناس بمظهره".

يغيب عن العمل لأنه صائم "عاشوراء"!

وزاد "وفي إحدى الوزارات كان هناك موظف يراجعه الناس من مناطق بعيدة، يأتون من عسير والقصيم والشمال، وكان الوحيد الذي بيده إنهاء مصالحهم، وهذا بطبيعة الحال من عيوب الدوائر الحكومية، التي تسند الأمر إلى شخص بعينه، فإذا غاب تعطلت مصالح الناس، ليس هذا هو المقصود وإنما المقصود أنه تغيب عن الحضور، وكان ذلك يوم السبت فسألوا عن سبب تغيبه، فقال لهم مدير مكتبه: انه صائم يوم عاشوراء، وإنه سيغيب يومين آخرين لأنه يطبق الأفضل في هذه السنة فهو يصوم يوم عاشوراء ويوماً قبله ويوماً بعده، ترك الواجب وهو عمله، وفعل السنة فارتكب إثماً، إضافة إلى دعاء الناس عليه، فقال المراجعون بصوت واحد: لا تقبل الله منه".

وإذا كانت أمثلة الغش باسم الدين في المهن والمجالات يصعب حصرها والتمثيل عليها، فإن أستاذ العقيدة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – فرع القصيم الدكتور ناصر العقل تجاوز تلك الأمثلة إلى الحديث عما هو التدين الحقيقي والمزيف

قائلاً: "أول حقيقة لبلوغ المراد الشرعي بالتدين هي صلاح القلب، وصلاح القلب لن يكون إلا بالعقيدة الصحيحة والاستقامة على دين الله التي لا تكون إلا بمقتضى العمل بشرع الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا بد أن تتحقق أركان العبادة في قلب المسلم بمحبة الله وتعظيمه جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته وأفعاله، كذلك من حقائق التدين ومظاهره التعبد لله بما شرع، فالتدين الحقيقي هو أن يحقق العبد العبادة على منهج سليم وفق ما شرع الله سن رسوله صلى الله عليه وسلم، وتتجلى حقيقة التدين بعد إقامة الفرائض وأداء الواجبات بعمل السنن والنوافل والأعمال الصالحة التي يجرُّ بعضها؛ إلى بعض فالحسنة تدفع إلى الحسنة".

وتابع: "كثير من الناس يفقد حقيقة الورع، حتى وإن تدين ظاهراً؛ لأن الفارق بين التدين الحقيقي والتدين العاطفي الذي لا يوزن بميزان الشرع هو الورع، ولهذا فإن الخوارج يعتبرون نموذجاً لمن سلك مسلك التدين العاطفي أو التدين بغير ورع، فتدين الخوارج تدين بغير ورع".

وفسر العقل ظاهرة التطرف والعنف التي اجتاحت العالم الإسلامي في السنوات الأخيرة بأنها "امتداد لهذا التدين المزيف الذي يقوم على العاطفة وليس على أسس شرعية، فأدى هذا التدين غير الراشد إلى سفك الدماء والاعتداء على الأموال والأعراض بدعوى الغيرة على الدين وبدعوى الجهاد وما هي بغيرة على الدين ولا جهاد، وإنما هو تدين مزيف وارتكاب للمحرمات،

لقد جاء الدين بحفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذه الضرورات الخمس اتفق العلماء والعقلاء على ضرورة حفظها وذلك هو حقيقة التدين".